

دراسة معالم فن السيرة الأدبية الذاتية في مذكرات الأمير عبد القادر

عبد العزيز شويط⁽¹⁾

مقدّمة

"مذكرات" الأمير عبد القادر (السيرة الذاتية)، وكتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر" للأمير محمد بن الأمير عبد القادر (السيرة الغيرية) بجزئيه (السيرة السيفية والسيرة القلمية) وثيقتان أدبيتان أولا وتاريخيتان ثانيا عن حياة هذا الرجل الظاهرة، بكل ما يمثله من رمزية في حياة الأمة الجزائرية. إذ يمكن لهاتين الوثيقتين أن تحققا التطابق، كما يمكنهما أن تحققا التقارب فضلا عن الاختلاف مع كل ما كتب عن الأمير عبد القادر خاصة من قبل الأوروبيين، النصان بقدر ما يكشفان عن شخصية هذا الرجل الكبير القدر والأهمية والتأثير، يكشفان أيضا عن مدى التطور الذي لحق فن وأدب التراجم و السير في الجزائر الحديثة. وعليه ما مدى توفر ميثاق الحقيقة - على رأي "فيليب لوجون" - في مذكرات الأمير عبد القادر وهي سيرة ذاتية ؟ وما مدى توفر هذا الميثاق فيما يتعلق بكتاب تحفة الزائر لابن الأمير، الأمير محمد، بكل ما تمثله البنية من علاقة، وبكل ما تمثله الحقيقة في السيرة من ميثاق ؟ وما مدى غلبة الجانب النصي على الجانب "الميتانصي" (الخارجي) إن غلب حقا، في السيرتين معا ؟

مع العلم أن البيئة والتاريخ يمكن أن يدخلوا في السيرة وأحداثها، ولكن ليس إلى درجة الغلبة حتى يغدو النص السيرى كلّ شيء سوى السيرة، على عادة جانب كبير وقسم معتبر من تاريخ سيرنا العربية القديمة ثم أخيرا هل من تخييل، وهل من فنية أو أدبية في النص السيرى الأميري ؟ وفي ما كتبه عنه ابنه محمد.

⁽¹⁾ Université de Jijel, Département Littérature Arabe, 18000, Jijel, Algérie.

وما علاقة السيرة بالتاريخ؟ وما علاقة السيرة بفن الرواية؟ وما علاقة الرواية بالتاريخ ولو من باب الإشارة الواعية؟ كل ذلك من شأنه أن يتكشّف من خلال تناول الجانب اللغوي والجانب الاصطلاحي لمفهوم أدب وفن السيرة، ومن خلال البحث في مضمون وعتبات وفتيات السيرة في الكتابين اللذين بين أيدينا ولو بشكل مقتضب مختصر، حتى تكون الدراسة نصية تتناول العديد من الدلالات في بعض المضمون وفي بعض الشكل.

توطئة لا بد منها/العرب والغرب وفن السيرة (المعجم اللغوي-الاصطلاح-الدراسة-التأثر)

حين يجري الحديث عن تاريخ حياة شخص من الأشخاص، نجد واقع المعاجم العربية اللغوية وحتى معاجم الموضوعات لا تفرق بين فن السيرة و الترجمة الأدبيتين، على ما بين المصطلحين من فوارق في المضمون والطريقة والحجم، لذلك نتحدث المعاجم عن الترجمة وهي تقصد السيرة والعكس صحيح، وأحياناً تستخدم ضمن السطر نفسه المصطلحين للدلالة على شيء واحد وهو أحدهما، فقد يكون " الترجمة " وقد يكون " السيرة ".

هذا يدل على أنّ التأليف المعجمي العربي وحتى النقدي لم يكن أحدهما متجاهلاً للسيرة كفن أدبي بأي حال من الأحوال، لأن الثقافة الأدبية العربية القديمة قد عرفت فن السيرة، عرفته كتاريخ وعرفته كأدب بشكل أعمق.

وحتى القواميس والموسوعات الحديثة، فمن حيث اللغة، ورد في لسان العرب لابن منظور أن "السَيْرُ: الدَّهَابُ؛ سَارَ يَسِيرُ سَيْراً وَمَسِيرًا وَتَسَيَّارًا وَمَسِيرَةً وَسَيْرورَةً؛ الأَخِيرَةُ عَنِ اللَّحْيَانِي، وَتَسَيَّارًا يَذْهَبُ بِهِ الأَخِيرَةُ إِلَى الكَثْرَةِ؛ قَالَ: فَأَلْقَتْ عَصَا... والسَيْرَةُ: السُّنَّةُ، وَقَدْ سَارَتْ وَسِرَّتْهَا؛ والسيرة: الطريقة. يقال: سار بهم سيرة حسنة. والسيرة الهيئة، (الإفريقي، د.ت). وفي التنزيل العزيز: "سُنَّعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى"¹

أما في الاصطلاح فقد ورد عند جبور عبد النور في "المعجم الأدبي" أن السيرة: ("بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته مراحل حياة صاحب السيرة أو الترجمة، ويفصّل المنجزات التي حققها وأدت إلى ذبوع شهرته وأهلهته لأن يكون موضوع دراسة".

¹ سورة طه، الآية: 21.

"فن السيرة هو نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي، يراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته" (المقدس، 1980، ص. 547)، "وما يصدق على أقاصيص المازني يصدق على قصصه الطويلة أو رواياته فهي أيضا، رغم امتزاج الخيال فيها بالواقع تعكس لنا سيرته وأحوال مجتمعه" (المقدس، 1980م، ص. 368). السيرة الذاتية: كتاب يروي حياة المؤلف بقلمه، وهو يختلف مادة ومنهجاً عن المذكرات واليوميات. "كاتب السيرة الذاتية قريب إلى قلبنا، لأنه إنما كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بيننا وبينه، وأن يحدثنا عن دخائل نفسه وتجارب حياته" (عباس، 1978م، ص. 101)، "يفضل المؤلف أن يكتب سيرته الذاتية في زي روائي مستفيداً من هذه الحرية، فيجرؤ على أن يدلي بما لم يكن في استطاعته أن يدلي به ولو أنه كتب اعترافاً مباشراً". (الأداب، 1975، 5، 47) (جبور، 1984م، ص. 143). وقد آثرنا أن نحافظ على إثبات صاحب المعجم للنصوص التي أوردها للتفريق بين أنواع السير وللتدليل على العلاقة بين السيرة بنوعها وبين التاريخ من جهة والرواية من جهة أخرى لما لها من أهمية، والدقة من حيث التناسب في الاستشهاد. كما آثرنا البدء به في باب الاصطلاح لأنه معجم مدرسي يجمع بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي لأي مادة معرفية يتعرض إليها.

تشارك المعاجم اللغوية في ميزة المعجم السابق، فمن أجل تقريب المعنى تسعى المعاجم اللغوية من خلال ما تُصدره من معاجم إلى الجمع بين اللغة والاصطلاح في تحديد المفهوم، ولذلك يجمع معجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة بين التعريف اللغوي والتعريفات الاصطلاحية الموثقة هنا وهناك ويدلي بدلوه في توضيح ماهية هذا الجنس الأدبي مستخدماً فلسفة المجمع في الربط بين الدلالة اللغوية للجذر والدلالة الاصطلاحية فيقول: "السيرة. السنّة والطريقة و الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره. والسيرة النبوية، وكتب السير: مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك. ويقال: قرأت سيرة فلان: تاريخ حياته (ج) سير" (إبراهيم مصطفى وآخرون، د.ت.، ص. 455).

والملاحظ أن معجم المجمع يأخذ بعين الاعتبار التاريخ الأدبي في تحديد التعريف وهو ملازمة المغازي للسير على مر العصور الأدبية التي أنتجت سيراً، ولكأن السيرة حكراً على رجال السيف في بداية أمرها إلى ما قبل العصر الحديث بقليل، كانت السيرة مع بداية ظهورها إلى غاية ما قبل العصر الحديث حكراً على رجال السيف، ثم امتدت إلى أعيان الجهات وأصحاب المذاهب وغيرهم، لذلك كثرت السير الذاتية للأدباء والعلماء وأرباب الفكر، فبرزت في هذه الفترات التاريخية سيراً غيرية كما ضمت سيراً ذاتية. "لا نكاد نمضي

بعد القرن السابع الهجري حتى تكثر التراجم الأدبية و العلمية خاصة عند العلماء الذين يؤلفون كتب الطبقات، فقد أصبح عُرفا سائدا بينهم أن يترجموا لأنفسهم بجانب ترجماتهم لغيرهم" (ضيف، د.ت، ص. 52) ولكن أي السيرتين أسبق ظهورا ؟ وما هي الأسباب التي جعلت هذا النوع أسبق من الآخر ؟

يُمكن ارجاع سبب احتكار رجال السياسة والغزو لهذه السير موضوعا، والجدير أن يكتب عنهم المختصون في فن السير لا أن يكتبوا هم سيرهم، باعتبارهم غير مختصين في ذلك ولهم انشغالاتهم السياسية والعسكرية التي تحول دون ذلك على الأقل تم ذلك في المراحل الأولى لظهور فن السير بغض النظر عما رأينا من تقدم لاعترافات القديس أغسطين وغيرها، لأن السير الغيرية ظهرت في فترات تاريخية سابقة كان العالم في حاجة ماسة إلى سير أرباب الفكر والعلم والأدب كحاجته لسير أرباب السيف والمغازي، لأن الإبداع يمثل انتصارا على الجهل والتخلف وبطولة في ميادين التقدم، لذلك "أتاح الاهتمام السيرى بالأدباء لأن يكون هؤلاء، وبشيء من التوسع شهودا على التراث الاجتماعي الذي طبعهم بطابعه، وعمل على إدخال السيرة ذات الصدقية - رغم كونها موجهة بالطبع - إلى الأدب" (أرون سان، جاك وجيالا، 2012م) وهو ما سنناقض به - الصدق - السيرة الذاتية للأمير عبد القادر وحتى السيرة الغيرية المتعلقة به، وخاصة حين يكتبها ابنه مع ذكر اسمه، من خلال اختلاط الحقيقة التاريخية بالمخيال الأدبي والمبالغة التي تفرضها العاطفة الأسرية. وكيف خرجت هاتان السيرتان نقيتان مما اختلطت به بعض سير رجال السيف والسياسة كما سبق وذكرنا، لتكونا نصا أدبيا في إطار فن السير خاضعا للمعايير الفنية من جهة ولمعايير الصدق من جهة ثانية. فكتابة الأنا² ليست ككتابة الآخر، هذا ما يشكل نوعا آخر لثنائية الأنا والآخر في كتابة الذات، لتصبح السيرة الغيرية مجالاً لكتابة الذات بشكل أعمق في العلاقات المتعارف عليها كعلاقة المواطن والمواطن والروابط الدينية، الجهوية، العائلية والجنسية، طبعاً هي علاقة الأب بابنه.

² يشير مصطلح "كتابة الأنا" إلى جنس جامع لضروب من الكتابة السردية تتخذ ذات المؤلف مداراً لها وتقوم على التطابق الصريح بين أعوان السرد الثلاثة: المؤلف، الراوي والشخصية. وتعد السيرة الذاتية واليوميات الخاصة والاعترافات والرسم الذاتي والمذكرات من أشهر كتابات الأنا، فهذه الأشكال من الكتابة وإن اختلفت فيما بينها وتنوع توظيفها تقنيات السرد، فإنها تلتقي في اعتماد حياة المؤلف مصدراً للكتابة ومادة لها وموضوعاً. وذلك بقص سيرته أو تسجيل ما يجري له من وقائع يوماً بيوم، أو عرض ملامحه النفسية والجسدية أو استحضار ذكرياته عن الناس والعصر" ينظر : القاض محمد القاضي وآخرون، (2010م). معجم السرديات. (ط. 1)، دار محمد علي للنشر تونس، دار الفارابي لبنان، مؤسسة الانتشار العربي لبنان، دار تالة الجزائر، دار العين مصر، دار الملتقى المغرب، ص. 354.

رجوعاً للتعريف الاصطلاحي لفن السير نأخذ مجال المعاجم النقدية وتحديد ما أورده "ابراهيم فتحي" في معجمه للمصطلحات الأدبية إذ يقول :

"السيرة الذاتية سرد قصصي يتناول فيه الكاتب نفسه ترجمة حياته الخاصة. ويحاول كاتب السيرة الذاتية أن يعرض حكاية مستمرة لما يعتبره أكثر أحداث حياته أهمية ودلالة. ولا يكشف كاتب السيرة الذاتية عادة إلا تلك الأوجه التي يريد أن يتذكرها الناس ويعرفوها. وتشبه السيرة الذاتية أشكالا أدبية متعددة مثل الترجمة الشخصية واليوميات وأدب المراسلات والذكريات." (ابراهيم فتحي، 1986م، ص. 202)

من بين الدراسات التي اعتمدها ضمن عملنا العلمي هذا ؛ أحد المحاولات الدراسية الجادة و المبنية على تحليل النص السردي السيري في العالم العربي من خلال نماذج عربية حديثة ومعاصرة، محددة (هذه الدراسة) السردية والنثرية وهما المجالان الجنسيان اللذان تتجول بينهما السيرة بكل أنواعها، وهذه الدراسة للدكتور محمد الباردي يقول فيها : "أن تكون السيرة الذاتية حكياً استعادياً، فتلك حقيقة ثابتة. لا شك أن الحكيم كما بدا لنا في مدونتنا العربية درجات، يبلغ أقصاه في السيرة الذاتية ذات الشكل الروائي ويصل درجته الدنيا في السيرة الذاتية ذات شكل أدب الوقائع، وبدرجة أقل في السيرة الذاتية ذات شكل الرسم الذاتي. ولكن مهما كانت درجة الحكيم فإننا في السيرة الذاتية إزاء جنس سردي بامتياز ولكنه سرد استيعادي يكون فيه الحاضر زمن السرد والماضي زمن التجربة.

فلم يُنْبِت حتى الآن من كتب سيرته الذاتية شعرا، فالشعراء أنفسهم يكتبون سيرهم الذاتية نثرا مثل : "فدوى طوقان" فطبيعة الشعر الحديث لا تتماشى وسرد تفاصيل الحياة الخاصة للأشخاص باعتباره جنسا أدبيا استقطابيا، كما أن السير الذاتية الشعرية في الأدب العالمي محدودة مقارنة بالسير النثرية. ونعتقد أن مدونة السيرة الذاتية العربية لا تخرج عن هذه القاعدة العامة" (الباردي، 2005م، ص. 181).

لا يُعَرِّف المطلاع على هذا التعريف المتسم بالشمول أنه يعبر عن نضوج في فن السيرة بجميع أنواعها وتجلياتها وأشكالها عند العرب طبقا لهذا التعريف، فالتعريف لا يخلو من تأثر بالدرس النقدي الغربي لفن السيرة، ولربما كان هذا التعريف من حيث الشمول والاستيفاء يعبر عن فن السيرة عند الغرب أكثر من تعبيره عن هذا الفن عندنا نحن العرب.

يتضح فن السيرة بجميع أشكاله عند الغرب وبدقة من خلال معاجم المصطلحات والموسوعات الأدبية والدينية، والأمر لا يعزو إلى سجل في عراققة هذا الفن سواء عند العرب أو الغرب، وإنما مرد الأمر إلى النتائج، وكما قيل العبرة بالنتائج، والنتائج مفضية هذا راجع لعمق كتابة السيرة الذاتية الغربية إبداعا ونقدا فالسيرة حسب الغرب هي : "النوع الموقوف على رواية سيرة حياة لا تمتزج فيها الحكاية مع شخص الكاتب. أما الكتابة السيرية : فهي مجموع الأنواع التي تقدم لنا حكايا حياة (سيرة، ذكريات، يوميات، سيرة ذاتية ..." (أرون دينيس، جاك وجيالا، 2012م)

هتشنسون في معجم الأفكار يركز على الترتيب الزمني من جهة وعلى الحقيقة التاريخية من جهة ثانية في كتابة السيرة بنوعها الذاتي والغيري فالسيرة عنده على النحو التالي : "السيرة la biography : هي ترجمة لحياة شخص ما، يكتبها غيره وعندما يكتبها بقلمه عن حياته تسمى سيرة ذاتية autobiography. تتكون السيرة من تفاصيل وحقائق عن حياة شخص ما مرتبة تاريخيا، وتتضمن تأويلات علاوة على الدقة التاريخية. وكثيرا ما أدت السير (غير الموافق على موضوعها) وغير الرسمية إلى نزاعات قانونية متكررة بسبب التفسيرات، والحقائق والتأويلات" (هتشنسون، 2007م، ص. 269).

لم يكن الصدق في الحوادث التاريخية هو الشغل الشاغل للدراسات الغربية المتعلقة بالسيرة : الذاتية والغيرية منها، وإنما علاقة السيرة بالتاريخ من جهة وبالرواية من جهة ثانية، وحتى علاقة الرواية بالتاريخ، هي الموضوع الأكثر تناولا في علاقة العلمي بالفني، التاريخي بالأدبي، الحقيقي بالخيالي، ومنه فإن "العلاقات بين السيرة والسيرة الذاتية، والعلاقات بين الرواية والسيرة الذاتية، هي قضايا مقلقة بسبب تكرار البراهين وبسبب الغموض الذي يكتنف المصطلح المستعمل، ثم بسبب اللبس في إشكاليات مستعارة من مجالات لا رابط بينها... وبعد تعديل طفيف، سيصبح حد السيرة الذاتية كالاتي : الحد : حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة" (لوجون، 1994م، ص. 21) ومع ذلك فإن الصدق المفضي إلى الحقيقة التاريخية شرط قابلية السيرة الذاتية، فهي وسط بين العنصر التخيلي وطغيان الحقيقة الخطابية، حتى يُحال الأمر إلى محاكمة أخلاقية قبل الإحالة إلى المحاكمة الحقيقية كما يحدث في الكثير من حالات كتابة السيرة الغيرية وما ينتج عنها من حالات عدم الرضا عن هذه السيرة، ولذلك يمكن القول أن "هناك معيار آخر يجب أخذه في الحسبان هو التمييز بين المقصد الانعكاسي (الراوي يتوجه إلى نفسه)، وبين

المقصد المتعدي (الراوي يتوجه إلى شخص ثالث). وضع المقصد المتعدي هو بوضوح المجموعة التواصلية الطبيعية، ولكن بعض الأجناس مرتبطة بوضع المقصد الانعكاسي: المذكرات الخاصة، وبعض الكتابات الشبيهة بالسيرة الذاتية، مثل السيرة الذاتية القائمة على مبدأ تجربة تحليل أخلاقي ذاتي غير موجه إلى شخص ثالث، واختبارات الشعور... إلخ" (شيفير، د. ت.، ص. 72).

وبشكل مدرسي أكثر وضوحا نخلص إلى الاستعمال الواقعي للسيرة اليوم بغض النظر عن صحة المفهوم وشموليته من عدمهما، يمكن القول (وتعني لفظة "سيرة" اليوم حسب الاستعمال :

أ- تاريخ إنسان (مشهور عموما) مروى من طرف شخص آخر (وهو المعنى القديم والأكثر شيوعا).

ب- تاريخ إنسان (غامض عموما) مروى شفويا من طرفه لشخص آخر أثار هذا التاريخ من أجل دراسته (منهج السيرة في العلوم الاجتماعية)

ج- تاريخ إنسان "يرويه بنفسه لشخص أو عدة أشخاص يسمعونه لكي يساعده على اتخاذ الوجهة الصحيحة في حياته (تتشكل من خلال السيرة)، ويقر فيليب لوجون أنه كان عليه أن يأخذ بعين الاعتبار مثل هذه التعددية في المعنى أثناء استخدامه لفظ السيرة الذاتية" (لوجون، 1994م، ص. 22)

ولعل الأمر الذي سنلاحظه فيما بعد من تسمية السيرة الذاتية بالمذكرات حسب الطبعة التي تم الاشتغال عليها وهي معروفة الظروف وسياق العثور عليها وإهدائها كمخطوط، وكل ذلك في كنف أفراد غربيين لأنها وجدت في قبو منزل أحد الفرنسيين، ومنه نرجح أن ورود اسم "مذكرات" ليس هو من وضع الأمير، وإنما أقحمت على عنوان النص المخطوط، فالثقافة العربية لا تسمي السيرة بالمذكرات³، وحتى الذين درسوا السيرة الأدبية الذاتية وتطرقوا فيها للمذكرات أخذوها من الغرب، لذلك فالفروق بين السيرة

³ ينظر القول: "وكتابة المذكرات نشأت في أوروبا قبل أن تنتشر في مختلف الآداب، إذ منذ أواخر القرن 15 ظهرت مذكرات أعلام من وزراء و قادة جيوش وأشخاص مقربين من الملوك أو صانعي القرار تروي تفاصيل فترة تاريخية عاشها الكاتب بأحداثها وأسراها وحوافّ قراراتها السياسية أو العسكرية وتقلباتها المختلفة ... وكثيرا ما يقع الخلط بين المذكرات والسيرة الذاتية التي تجعل فيها الذات الكاتبة نفسها موضوعا للكتابة، وتتحدث عن التاريخ ومنه تاريخها الخاص" القاضي محمد وآخرون، (2010م). معجم السرديات، (ط. 1). تونس: دار محمد علي للنشر، لبنان: دار الفارابي، لبنان: مؤسسة الانتشار العربي، الجزائر: دار تالة، مصر: دار العين، المغرب: دار الملتقى، ص. 380.

الذاتية ولسيرة الغيرية والمذكرات أو اليوميات واضحة المعالم عندهم، وحتى وإن كانت هذه التسمية من وضع الأمير فلا يخلو الأمر من تأثير الرجل بالأداب الغربية ومصطلحاتها. وقد تم التأكيد على العلاقة الوثيقة وشبه التطابق بين السيرة الذاتية والمذكرات أو اليوميات، "ونستطيع أن نلاحظ أن تعريفات هذه الأشكال أيضا لا تحتوي على تعريف جامع مانع للسيرة الذاتية، لأننا لا نستطيع أن نعد كل عمل يجمع بين التحري التاريخي، والإمتاع القصصي سيرة ذاتية، فالتاريخ نفسه في بعض الحالات، حين يصوغه مؤرخ أديب نجد فيه عنصر الإمتاع القصصي، كما أن مادة السيرة الذاتية لا تختلف عن مادة المذكرات أو اليوميات، بل على العكس، فمن المستحب أن يكون لصاحب السيرة الذاتية مذكرات أو يوميات تعيينه عند كتابة سيرته على تذكر الأحداث التي مرت به قديما" (شاعر، 2002م).

أيضا يمكن الاستئناس بعدة تعريفات للمذكرات، فنجد مثلا "إن مفهوم "المذكرات لا يعتبر "مفهوما" مناسباً لكل العصور، فمن يقول "مذكرات" إنما يعني نظرة إلى الوراء أو على الأقل نظرة خارج النفس للبحث عن شهادة حول حقيقة زمنية: التاريخ، فرديا أو جماعيا أو تسلسل الأحداث... إن مفهوم "المذكرات"- وهي قصص حياة أو شهادة عن حدث- يتطلب بالضرورة فكرة عن تطور الماضي ومنظورا عن تجربة متنامية وليس دوريا أو مكررا حتى يسمح بمسافة تقطع، سواء أكانت داخلية أم خارجية لدى الشخص الذي يفكر به ... إن المذكرات يصنعها التاريخ في مرحلة أولى تحت شكل "وقائع" أو "رسم المجتمع" أو "شهادات". إن الفكرة التي تقول لكل إنسان تاريخا ليست معاصرة لتلك التي ترى أن التاريخ يذكر فيه كل الناس وأننا لا يمكن وصفه (محمود الريدواوي، 1985م) وهذا التعريف يركز على معاني الشهادة والحقيقة والترتيب الزمني والاستدكار، أي الرجوع إلى الماضي.

بل يمكن التفصيل أكثر في نفسية راوي المذكرات، كما يمكن التمييز بين أنواعها، فهي على كل حال كما يذهب إلى ذلك الدكتور محمد صابر عبيد: "المذكرات حكي استرجاعي يقوم فيه الراوي المذكراتي بوصفه مشاهداً بمراجعة مدونات سبق وأن سطرها في ظروف معينة، فيعيد كتابتها برؤية متكاملة تنجّه إلى التاريخ والأحداث والموضوعات والقضايا، أكثر من اتجاهها إلى البناء الشخصاني للراوي كما هو الحال في السيرة الذاتية أو الغيرية، إذ يقتضي البناء السيري التزاماً بحدود الشخصية في خصوصياتها الذاتية وفي خروجها إلى الأحداث والموضوعات والقضايا.

وفي المذكرات يكون الراوي أكثر حرية في سرد مرويات معيّنة وإغفال أخرى على النحو الذي يطابق سياستها وغايتها المرجوة، قياساً بتلك الحرية التي يتمتع بها الراوي السيري "الذاتي والغيري"، وتخضع لاشتراطات فنية وموضوعية معيّنة. لكن ذلك لا يمنع حصول الكثير من التداخلات أو التقاطعات أو الالتحامات أو التوافقات بين السيرة بنمطها والمذكرات، كما أن المذكرات يمكن أن تكون ذاتية ويمكن أن تكون غيرية أيضاً، ولا تكون فيها عملية الاسترجاع طويلة ومتكاملة كما هو الحال في السيرة الذاتية، بل يجب أن تكون قصيرة.

المذكرات الشفوية سرد شفوي مرتجل يعتمد فيه السارد الشفوي اعتماداً كلياً وأنيماً على نشاط الذاكرة وفعاليتها. منسجمة مع قصر عملية الاسترجاع، إذ يروي السارد مشاهداته الشخصية في ظل الحدث المعاصر والتاريخ، منصرفاً إلى الحدث أكثر من انصرافه إلى ذاته، على أن يبقى الخيط قائماً بينهما.

تختلف عن المذكرات المكتوبة في أسلوبية السرد ودقة المعلومات وانتظامها، إذ تروى المذكرات الشفوية بطريقة حكواتية من خلال وسيلة بثّ تصل الكاتب بجمهور المتلقين، إما على نحو مباشر وجهاً لوجه، أو عن طريق الإذاعة أو التلفزة، أو أية وسيلة اتصال أخرى تحقق وجود راوٍ ومروي له، في حين يتم التواصل في المذكرات كتابياً (عبيد محمد صابر، 2005، ص. 150).

طبيعة العتبات (العنونة) بين السيرة الذاتية للأمير (المذكرات) وتحفة الزائر لابنه محمد

العنوان الأكبر (الرئيس) في هذا العمل أو ذاك قد يكون من وضع المؤلف، وقد يكون من وضع الناشر أو المحقق في حال الكتاب المطبوع ... الخ، وفي حال مذكرات الأمير عبد القادر (السيرة الذاتية) ورد في الغلاف بحسب طبعة وزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين لعيد الاستقلال والشباب عنوان "مذكرات الأمير عبد القادر" وفي داخل الكتاب ورد العنوان ذاته "مذكرات الأمير عبد القادر" وتحته عنوان فرعي نصه "سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849 تنشر لأول مرة" ولست أدري من أين جاء بهذا العنوان "المذكرات"؟ وحتى في الصفحتين اللتين صورهما المحققون، م ترد كلمة المذكرات ولم يرد حتى العنوان أصلاً، فهي (المخطوطة) تبدأ بـ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" وتنخرط في المقدمة أو الخطبة مباشرة. على الرغم من أن المحققين ذكروا أن ما ورد على

ظهر الصفحة الأولى من المخطوطة التي نشرتها وزارة المجاهدين هو عبارة "تاريخ الأمير عبد القادر، نسخة مخطوط السيد الحاج مصطفى بن التهامي كتب بعضه بخط الأمير 1849". والأجمل في هذه العملية بالذات أن المحققين واعون بالبعد التجنيسي لهذا النص الأدبي، مفرقين بين المذكرات التي تكتب على مدار السنين وبين السيرة التي تكتب في أيام معدودة تسترجع الماضي من الوثائق ومن الذاكرة. وفريق المحققين كانت تسميتهم للنص واضحة جدا، وهي عندهم سيرة ذاتية والجهد العلمي في التحقيق لهم طبعاً، وهو ما يؤكد محتوى هذه السيرة التي تم الإطلاع عليه بما أثبتته الدكتور عبد العزيز شرف بقوله: "يمكن القول أن السيرة الذاتية نقل مباشر، أما السيرة الغيرية - أي ترجمة حياة الآخرين - فإنها نقل عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق، وشتان ما بينهما، ثم إن الصفات التي تجعل السيرة الذاتية عظيمة ليست هي الصفات نفسها التي تجعل السيرة الغيرية عظيمة. وعلى رأس تلك الصفات أن يكون كاتب السيرة الغيرية موضوعياً، يلمح بسرعة ويفهم بإحكام ويلم الحقائق، ويحكم عليها، ويمزجها مزجا متعادلا منسجما، ويصبغها بأسلوبه. أما كاتب السيرة الذاتية فإنه ذاتي قبل كل شيء، ينظر إلى نفسه ويسلط أضواء النقد و دقة الملاحظة على شخصيته، ومترجم غيره يقف موقف الشاهد لا القاضي، أما مترجم نفسه فإنه يجمع بين الصفتين، فعلى الأول أن يرتد إلى الخلف لينقل صورة العلم كما كانت معروفة بين معاصريه" (شرف، 1998م، ص. 5) وهذا ما وقع للأمير عبد القادر حين أملى هذه السيرة على أحد أصحابه (ابن التهامي) وهو في السجن وليس منذ مبايعته أميراً وقبل ذلك بأي حال من الأحوال.

والحق إن هذه الطبعة من المذكرات (السيرة الذاتية) فاخرة على الأقل في غلافها الفاخر، وقد صدر لها شيخ النقاد والمؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله، الذي أفرد لعائلة الأمير عبد القادر مبحثاً غير قصير في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" (سعد الله، 2009م)، كما قدم لها الدكتور عبد المجيد مزيان وزير المجاهدين عند صدور الكتاب أول مرة سنة 1983، كما احتوى الكتاب على مقدمة المحققين أيضاً.

طبيعة العناوين في هذه السيرة الذاتية المذكرات تختلف كثيراً عن سيرة الأمير محمد لأبيه، ذلك أن ما غلب على عناوين التحفة لفظ "ذكر كذا وكذا" وهو لفظ تراثي ظل لصيقاً بمنتجات الثقافة العربية في عناوين الأبواب والفصول والمباحث وحتى الرسائل في مجملها منذ فجر الشعرية الكتابية العربية، بينما العناوين في المذكرات فهي في أغلب

الظن من وضع المحققين ولا يمكن التعليق عليها لأنها إطار الميثانصي لا علاقة له بمتن النص بل هو خارجي مساعد. ويمكن حساب تكرار كلمة ذكر في عناوين المباحث داخل السيرة التحفة بجزئها فهو قد بلغ 136 عنوانا لمبحث من مجموع عناوين المباحث الكلية والمقدرة بـ 159 عنوانا لمبحث.

تبقى التحفة بجزئها، وهو عمل كامل النسبة لصاحبها الأمير محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري وقد اعتمد على عنوان طويل نسبيا يحاكي ما ساد عند العرب في فن العنونة للكتب و الرسائل المؤلفة، و هو يشبه إلى حد بعيد عنوان كهذا مثلا "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيره لسان الدين بن الخطيب" ليس فقط من حيث المحتوى المتشابه والمتعلق بالكوزموغرافيا (الجغرافيا التاريخية للأندلس)، والمتعلق بالسيرة الذاتية لسان الدين بن الخطيب، يكمن الفارق في تقديم المقري في العنوان للأندلس على صاحب السيرة، وتقديم صاحب التحفة للأمير صاحب السيرة على الجزائر، ولقد احترم المقري الترتيب الوارد في العنوان فبدأ بالأندلس وطبيعتها وجغرافيتها وتاريخها وسير أعيانها أو سيرها الصغرى لينتقل إلى السيرة الكبرى سيرة لسان الدين بن الخطيب تماما كما احترم الأمير محمد الترتيب في التركيب الإسنادي للعنوان فبدأ بالمغرب والجزائر ثم انتقل إلى الأمير عبد القادر كما سنلاحظ في محتوى السيرة التحفة.

الجدير بالذكر أيضا ضرورة التأكيد على الوزن في الموسيقى الداخلية المسجوعة للعنوان في شكل تكرار لحرف الراء كما تكرر حرف الباء في عنوان النفح، يضاف إلى ذلك التصاعدية في مقاطع الفواصل فالمقطع الأول قصير "نفح الطيب / وتحفة الزائر" والمقطع الثاني أطول نسبيا "من غصن الأندلس الخصيب / في مآثر الأمير عبد القادر" والمقطع الثالث أطول من المقطعين السابقين عند المقري و لكنه عند الأمير محمد في التحفة أقصر "وذكر وزيره لسان الدين بن الخطيب / وأخبار الجزائر" ولكنه هنا لم يحدث خرقا موسيقيا ولا نشازا لأنه تساوى مع المقطع الأول، فكان المقطع الوسيط طولا بين قصيرين وهو منطوق ذوقي مستلذ في عرف البديع.

أثر البيئة في العنونة بمبحث شريف على رأي العقلية التراثية، ولذلك عنوان مثل هذا العنوان لا بد أن تظهر فيه آثار البيئة سواء البيئة الواقعية أم البيئة المتخيلة، فالتحفة تدل على الغنى والجاه والسلطان والإمارة لأن الأغنياء هم من بإمكانهم الحصول على التحف وفي التحفة دلالة المتعة والأريحية والطرب ومن ألفاظ حقلها الدلالي علو الذوق

والطرب الوجداني والإحساس بالجمال والشرف والزيارة تحمل دلالة الشوق إلى الوطن والغربة عنه والرغبة في زيارته. كما تحمل دلالات التصوف في الزيارة والمجاورة لدى المولوديات العربية أندلسها ومغربها وحتى مشرقها، فالحس الصوفي لا يفارق صاحبه لارتباطه بالتجربة الروحية الوجدانية، وذلك سبيل كل سيرة أو ترجمة تتعلق بأشخاص وثيقي الصلة بالتصوف، (ومن أهم ما يميز هذه التراجم أنها تصور لنا سلوكهم وتضع تحت أعيننا كثيرا من تجاربهم التي تعد في جوانب منها غريبة وخاصة حين يتحدثون عن كراماتهم و مكاشفاتهم وما عرض لهم من الأحوال... وهم في ذلك إنما يصفون أنفسهم ويعرضون سيرهم وقد يعرضونها شعرا، وقد يعرضونها نثرا أشبه ما يكون بالشعر، ففيه الإبهام والغموض، وفيه هذا التطلع الحالم إلى أشعة الذات العلية.

ولعل ذلك ما يجعل قراءة هذه التراجم محببة إلى النفس... وهي مجاهدات و تجارب بدأت منذ رابعة العدوية ومعاصرها إبراهيم بن أدهم... وهو ما جعلنا نختاره - المضمون الصوفي - كمثال على المحتوى المضموني الديني. انظر مثلا حين يعلق المحققان على كلمة "الأغيار" ذات البعد الصوفي وقد ردت في بداية الفصل الرابع من المذكرات فيرجعها إلى تصوف الأمير بقولهما: "الأغيار: ج غير. يقال غير الدهر أحواله، وأحداثه المتغيرة، والأغيار: الحالات النفسية أو غيرها. والأمير يلح بها إلى المعنى الصوفي الذي عبر عنه في "المواقف" عند تفسيره لقوله تعالى "هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ"⁴ لأن كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه بالشيئية لا يخرج عن هذه المراتب الأربع "ج. 1، ص. 59) (الأمير عبد القادر، 2008، ص. 106)

كما نجد ذلك في المآثر تعني المفاخر و الفروسية وذلك الرصيد الغنائي الوجداني من شعر الفخر والسيادة والحماسة عند العرب، كما ترجع إلى النسب الشريف والافتخار بالأجداد و الأمير فارس وأمير و شاعر ومتصوف و متدين وحاج لبيت الله الحرام زائر لقبر النبي - صلى الله عليه وسلم - والأمير يعبر عن إثبات الصفة الشرعية المتولدة عن البيعة للأمير، و ذكر الاسم له دلالة عظيمة حكاها المتنبي في مدحياته للأمير خسرو شاه، وفي لفظ الأخبار معاني الشوق والحنين وألم الفراق للوطن الذي خلفه الأمير عبد القادر وراءه كما خلف النبي - ﷺ - مكة وراءه ومن حين لآخر يسأل عن البلد الأمين، ولفظ الجزائر أيضا له دلالة التشخيص للوطن، ولذلك كان العنوان معبرا عن بيئة الكاتب وبيئة المكتوب عنه، بيئة الشرف الأميري والقدسية الدينية في الزيارة النبوية وبيئة السمو والغنى النفسي

⁴ سورة الحديد، الآية : 03.

الروحي والمادي عند الأمراء وبيئة الإحساس بالجمال والشرف والسمو عند الأمراء والسادة والقادة وبيئة المآثر والمفاخر عند الأمير الفارس الشاعر فخر الجزائر والعالم العربي وكل عالم حر تائر. هذا هو العنوان وهذا هو أثر البيئة في هذا العنوان على الأقل هي بيئة الأمير عبد القادر كأمر وإن آل مصيره إلى سجن لمبواز.

الاستشهادات التي تضمنها النص السيرى في سيرة الأمير الذاتية (المذكرات) أغلبها ممثلا للبيئة الدينية والعقائدية للأمير، ومثلما رأينا التصوف من خلال العنوان نرى الدين من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي يمتلئ بها النص السيرى، كما نجد الكثير من الآثار الدينية وأقوال السلف، ومن الطبيعي أيضا أن يبان الموروث الأدبي في هذه السيرة فالأمير عبد القادر شاعر وأديب ولكن مسيرته السياسية والحربية فاقت مسيرته الأدبية فقد قاوم فرنسا من سنة 1833 إلى سنة 1847 من بيعة الأمير إلى نشاطه وإنجازاته إلى معاهدة ديميشال فمعركة المقطع إلى غاية سقوط معسكر إلى معاهدة تافنة و نهاية مرحلة حكم الأمير، وهي كلها مباحث تتبع التسلسل الزمني في مرحلته الكفاحية يمكن الاستفادة منها في التسلسل الزمني الحاصل في السيرتين الذاتية للأمير والغيرية لابنه محمد (العلوي، 1985م، صص. 34-47)، ولذلك كثيرا ما ينحاز الكتاب دارسو السيرة إلى كاتب مثلهم حتى وجدنا من اقتصر كتاب "السيرة الذاتية، التاريخ والميثاق" لصاحبه فيليب لوجون في فصله الأخير على علاقة السيرة بالتاريخ الأدبي وهو ما لم يتركز عليه لا تحفة الزائر للأمير محمد ولا المذكرات للأمير عبد القادر وإلا لكانت إفادتنا من هذا الكتاب عظيمة، إذ لم تنقل لنا مسيرة الأمير الأدبية بأشعارها ورسائلها، لذلك يمكن الاستئناس بقول الكاتب عن الطابع الغنائي في السيرة وعن حضور المخيال الأدبي في سير الأدباء :

"إن السيرة الذاتية شكل آخر ينضم إلى الرواية من خلال مجموعة من التحولات غير المحسومة، فأغلب السير الذاتية تكون ملهمة باندفاع إبداعي، واسع الخيال نتيجة لذلك، يدفع الكاتب إلى عدم الاحتفاظ من أحداث وتجارب حياته إلا على تلك التي يمكنها أن تدخل ضمن بناء نموذج معين." (لوجون، 1994م، ص. 93)

كان بالإمكان أن تكون العملية الحسابية التي سنجرها بخصوص المحتوى الميثانصي في السيرة وحتى في تحفة الزائر بالاعتماد على عدد الصفحات، ولكن الصفحات المرفقة بالهوامش الغنية من قبل المحققين فيما يخص المذكرات، لا تعطي نسبة حقيقية عن

حجم المحتوى. ولذلك لجأنا إلى عدد المباحث مهما كان حجم هذا المبحث أو ذلك، إذ العبرة بالاهتمام بالمبحث والعنوان المرصود له.

ففي مذكرات الأمير عبد القادر (السيرة) جاءت المقدمة ومبحث ذكر الفصول التي يحتوي عليها الكتاب، والفصل الأول في نسب الأمير عبد القادر ضم 09 عناوين (مباحث) 05 مباحث فقط لها علاقة بالسيرة والبقية عناوين ميتا نصية، تتعلق بالمذاهب ومذهب مالك والتعريف به في أصوله وليس في واقعه في بلاد الجزائر وإلا لكان الأمر مقبولاً. أما الفصل الثاني في نسب الرسول ﷺ - وأصل العرب في 06 مباحث ميتا نصية كلها.

وأما الفصل الثالث في النبوة والرسالة ضم 09 مباحث، كلها ميتا نصية.

والفصل الرابع كفاح الأمير عبد القادر ضم 83 عنواناً منها 79 مبحثاً ذات علاقة بالنص وأربعة مباحث 04 لا علاقة لها بالسيرة تتعلق بالشاعر الغزال وحادثه وقعت له ملك اسبانيا وأخرى مع زوجة الملك في إطار الاستطراد، وواحدة سميت باللطيفة، والأخرى سميت بالطريقة.

بالإضافة إلى مبحث التذكير بمفاخر العرب وإيفائهم بالعهود. ومبحث ذكر "أحلاف" العرب و تنفيذهم لما تعهدوا به، وإن كان للمبحث الثالث المذكور ما يبرره إلا أن المبحث الرابع بعيد كل البعد عن جو السيرة. والحقيقة أن لا السياق المكاني ولا الزماني يفرض استحضار هاتين الحكايتين وهو المنطق الذي جعلنا نعد مثلاً فصلاً كفصل: "شرح لغوي لمفهوم الجمهورية" من صلب السيرة للعلاقة الواضحة بين الجمهورية الفرنسية والأمير عبد القادر زمنياً وسياسياً (المعاصرة والعلاقة المباشرة الفاعلة) ولو في المراحل المتأخرة من سيرورة السيرة، نهاية فترة الكفاح العسكري وسقوط الزمالة.

الفصل الخامس في سجايا العرب تكون من 28 مبحثاً وعنوان وهو كما هو مبين لا علاقة له بالسيرة فهو قد تكون من مباحث ميتا نصية.

الفصل السادس في نسب الروم القيصرية تكون من 16 مبحثاً وهي مباحث ميتا نصية في مجملها. والفصل السابع في تبيان من اجتمع نسبه من هذه الأجناس وتكون من 15 مبحثاً وكلها مباحث ميتا نصية. وأخيراً الخاتمة وجعلها في: عدد الشهور والسنين وفي أسمائها عند العرب والعجم وفي علامات قيام الساعة وهي 03 مباحث ميتا نصية أيضاً. والمجموع بحسب الباحث بحساب المقدمة والخاتمة كلا بعدد مباحثه تكونت السيرة من حوالي 162 مبحثاً كانت المباحث ذات العلاقة بالسيرة حسب منطق السرد والسياق

الاجتماعي والتاريخي والسياسي 86 مبحثا و عدد المباحث الميتا نصية كان عددها حوالي 76 مبحث. وبالتالي تكون نسبة المباحث السيرية 53.08 بالمئة ونسبة المباحث الميتا نصية 46.91 بالمئة.

ومهما يكن عدد المباحث الميتا نصية أقل من المباحث ذات العلاقة بالسيرة ولكن المباحث الميتا نصية كادت تصل إلى النصف إذ الفارق أقل من عشرة مباحث وكان المبحث الذي توسط المقدمة ومباحث الفصل الأول مجرد سرد للفصول (مجرد إجمال إحصائي)، ومع ذلك جعلناه هو والمقدمة من صميم السيرة وحتى الخاتمة تضمنت 03 مباحث وكانت كلها ميتا نصية.

أما في تحفة الزائر (الأمير عبد القادر، 1903م)، فالأمر لا يختلف كثيرا وإن كانت هذه الأخيرة أكبر حجما في عدد الصفحات مع ما في المذكرات من هوامش المحققين و مع ذلك فقد بلغت 353 صفحة من القطع المتوسط بما في ذلك التصدير ومقدمة المحققين، ولولا ذلك لكانت التحفة أضعافا مضاعفة للمذكرات، وهي بجزئها الأول (سيرته السيفية) والثاني (سيرته القلمية) قد بلغت 633 صفحة و بدون هوامش وبطباعة قديمة وكان حجم الخط صغيرا، من دون علامات وقف وبأكثر من 25 سطر في الصفحة. مما يعني أكثر بكثير من الضعفين هي نسبة التحفة إلى المذكرات.

وبالرجوع إلى نسبة ما هو نصي إلى ما هو خارج النص، نص السيرة، نرجع إلى ما قررناه في مبحث العنوانة وهو أن المذكرات عنوانها هكذا "مذكرات الأمير عبد القادر" بينما التحفة عنوانها "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر" على ما لهذا العطف الأخير من دلالة وتسويغ لما سنجده من مواد ميتا نصية في هذه السيرة، وإنما نورد مصطلح السيرة لأن صاحبها كما أسلفنا جعل للجزء الأول عنوانا فرعيا هو "سيرته السيفية" وجعل للجزء الثاني عنوانا فرعيا آخر هو (سيرته القلمية) ويقصد الأمير طبعاً بالسيرتين. وهنا نتذكر بالطبع نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيره لسان الدين بن الخطيب، و كيف طالت المقدمة في وصف الأندلس حتى غدت كتابا مستقلا عن سيرة ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب في كتاب نفع الطيب.

في الجزء الأول (السيرة السيفية) و ذكر الأمير كرجل سيف أكثر من أي شيء آخر "وهو القائد المغوار الذي حارب الجيوش الفرنسية بحنكة و خبرة لا مثيل لهما، وهو السياسي المتمرس والعالم الصوفي الفذ والأديب المبدع والأب العطوف الحنون، والعالم الذي يقصده طلاب المعرفة من كل فج قصي، والباذل التبر والنفس الغالية من أجل

حماية الروح البشرية أينما حل وأقام..." (دحو، 2007م، ص. 15) نجد في هذه السيرة السيفية بالإضافة إلى خطبة الكتاب والمقدمة في ذكر جغرافية المغرب، وهما مبحثان اثنان، الأول خطابي والثاني جغرافي ونجد مبحثا آخر في جغرافية بلاد الجزائر ومساحتها وتضاريسها وما بها من حيوانات ونباتات، ليصبح عدد المباحث ثلاثة (03) لا علاقة لها بسيرة الأمير عبد القادر، ونجد بعد ذلك في تاريخ المغرب العربي أدناه وأوسطه وأقصاه إلى غاية استيلاء فرنسا على الجزائر سنة 1838 و بالضبط في الخامس من يونيو كما يحددها الأمير محمد، ونجد كل ذلك في 22 مبحثا جملها في تاريخ دول المغرب وبعضها في الثورات الشعبية ضد المستعمرين والغزاة الفرنسيين وغيرهم.

ابتداء من هذا المبحث المذكور وهو استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر وهو مبحث ذو علاقة وطيدة بالسيرة نعثر على 97 مبحثا كلها تروي أحداثا حول الأمير عبد القادر منذ بوع له بالإمارة وإلى آخر وقائع الأمير عبد القادر في بلاد المغرب الأقصى بعد واقعة بني عامر في نواحي فاس.

الجزء الثاني من السيرة وهي سيرته القلمية تبدأ من نهاية الكفاح العسكري بالضبط من ركوبه إلى طولون بفرنسا هو وأهل بيته، وتضمن هذا الجزء 37 مبحثا كلها من صميم السيرة، بما في ذلك المبحثين الأخيرين وهما : رسائل التعازي والمرثي طبعاً بعد موته، والمبحث الأخير واسمه الخاتمة في ذكر نسبه الشريف.

وعليه يمكن الجمع بين مباحث الجزء الأول والثاني من التحفة ليصبح مجموع عدد المباحث بحساب المقدمة والخاتمة 159 مبحثا، كان 25 مبحثا منها ميتا نصيا والباقي 134 مبحثا ذا علاقة وثيقة بالسيرة (التحفة) وبالتالي تكون النسبة لما هو نصي 84.27 بالمئة ونسبة ما هو ميتا نصي 15.72 بالمئة.

والخلاصة في هذا الشق بالذات ألم يطلع الأمير محمد على سيرة أبيه الذاتية أو المذكرات التي أملاها على صهر العائلة ؟ حتى لا نجد تكرارا في المحطات الرئيسة التي أتى على ذكرها الأمير في المذكرات النصية أم غير النصية ؟

طبيعة المضمون النصي والميتانصي بين السيرة والمذكرات (التخييل والصدقية)

يقول جان ماري شيفير عن شرط التخييل في الآداب حتى تعد أدبا، ولاسيما عن الاعتدال في هذا التخييل وأن يكون الأدب وسطا بين الخطابية والتخييل :

"إذا كان صحيحاً أن الأدب ركام أكثر من كونه نظاماً محدداً بطريقة مشتركة، فإنه يجب عدم الاندهاش عند اكتشاف أن أسماء الأجناس لا تتواجد جميعها في الجهة نفسها من الحدود: الأدب لا يختزل إلى التخييل ولا إلى أفعال خطابية غير جادة. صحيح أن أكثر أسماء الأجناس الشرعية للتقليد الأدبي الغربي تقوم على المجال اللعبي: علماً بأن بعض الأجناس غير اللعبية مثل الأدب الترسلي، والسيرة الذاتية، والتاريخ، قد دخل ضمن مجال الأدب. كذلك إذا بحثنا عن شروط التغيرات الثقافية إلى ممارسات يعتبرها الغرب أدبية، وإذا قبلنا أن كل نشاط لغوي له أساس اجتماعي وواقعي، أو الذي يفسح المجال لتكوين لغوي متميز يمكن أن يندرج تحت عنوان الأدب، فإننا نرى أنه في عدد كبير من الحضارات، خاصة الشفهية منها، يتضمن المجال المقصود عدة أنشطة غير لعبية، مثل الرثاء، والصلوات، والأغاني الجنائزية، والأمثال، والأناشيد الدينية، والخطب الوعظية. من المفيد تحديد أنه إذا كان التمييز بين أسماء الأجناس المستندة على المجال اللعبي وبين أسماء الأجناس المستندة على ممارسات لغوية جادة، ذا طبيعة وظيفية، فإنها كلها، مهما تكن الوظيفة التي تستند عليها، تستطیع التعريف بظواهر مرتبطة بمستويات أخرى للفعل التواصل في الوقت نفسه." (شيفير، د.ت.)

السياق والهدف الذي كتبت من أجله السيرة الأدبية للأمير عبد القادر يفرض الصدقية وهو سياق الأدب الهادف، ومع ذلك فهذا ملمح نقدي سياقي، وهذه آلية سياقية والأمر يحتاج إلى دليل نصي، بل وقد تكون هذه الحجة عليه وليست له من حيث الصدقية، لكننا هنا لا نناقش الصدق كمقابل للكذب؛ إنما الصدق مقابلاً للتخييل، لكن هذه الحجة -على كل حال- تساعد على التذليل على الصدقية والحقيقة في النص السيري أي: في النصين اللذين محل دراستنا. فلم يكتب الأمير عبد القادر سيرته للمتعة الأدبية، وعليه فهو ليس في حاجة للتزييف ولا للمبالغة ولا للتخييل، وإنما كتبها للتاريخ وهي ليست

بتاريخ، كتبها للاعتبار وهي نص فني توفرت فيه الشروط الأدبية من حيث جمالية الأسلوب، ومهما يكن أسلوب الأمير جميلا فقد كان بإمكانه استخدام الأسلوب العلمي المستخدم في كتب المؤرخين والإخباريين ابتداء من هيرودوت وصولا إلى ابن خلدون، وعليه كتبت السيرة بهدف الدفاع ورد الشبهات وتفنيدهم الاتهامات، فهي مرافعة يدافع بها صاحب السيرة عن نفسه في حالة المذكرات وعن والده في حالة السيرة التحفة تؤكد الحقائق والشواهد وتحميها مصداقية آلية التواتر في الحوادث التاريخية انطلاقا مما يشهد به الناس وانطلاقا مما سيكتبه الآخرون.

"وفي جميع الأحوال، سواء أكان كاتب السيرة الذاتية صادقا أم كاذبا، فنحن لا نعد السيرة الذاتية وثيقة تاريخية، ولكننا نتوخى فيها الصدق لأننا نعددها وسيلة لإقامة جسور من التعاطف والصدقة بين القارئ والكاتب ولكي يستطيع الكاتب أن يكسب ثقة القارئ لا بد أن يلتزم الصدق والصرحة." (شاكر، 2002، ص. 12)

في حالة الأمير محمد كانت الحرفية والإغراق في المتوفر من وثائق وشهادات في نقل الحقائق والحوادث التاريخية حامية له مما يمكن أن تمليه عاطفة الولد تجاه والده مما يتوقع من مبالغة أو زيادة، وهذا ليس غريبا عن تصدر للكتابة السيرية، ف"لعل كثيرا من كتاب السير التاريخية عندنا كانوا أسبق إحساسا بمعنى الاعتدال في الحكم والتقدير، واضعين الصواب إلى جانب الخطأ حين يتحدثون أو يترجمون لأن "علم الرجال" علمهم أن هناك جرحا وتعديلا، وأن هناك مرتبة وسطى تجمع بين الجرح والتعديل، ولذلك لم تكن السيرة مدحا مطلقا أو ذما مطلقا، بل كثيرا ما كانت تجمع بين هذين في صدق واعتدال" (عباس، 1978م، ص. 38) ومع ذلك فهي نصوص أدبية فنية توافرت فيها الجمالية الأدبية، وإن لم يقصد بها الإمتاع ومع ذلك فقد حققت إمتاع المتلقي.

ولذلك يمكن القول: "لقد كانت التراجم أو السير في العصر العربي الوسيط، يشيء أكبر من مجرد مستودع للبيانات التاريخية للسير، بل كانت أيضا أداة للتقريب والجدل. فعند كتابة ترجمة ما كانت تتاح فرصة للمؤلف لاتخاذ موقف يتعلق بهيئة الشخص موضع الاهتمام أو بجوانب معينة من حياته. فإذا أدرك كاتب السيرة بعض المعلومات التي تثير الجدل فيما يتعلق بشخص ما، فهل يقوم باستبعادها أم عليه أن يُضَمَّهَا؟ وإذا كان عليه أن يُضَمَّهَا، فكيف يعرضها؟" (دوجلاس، 1985م، ص. 123) هذا عن العصور السابقة عند العرب، وهو نفسه ما يمكن أن يتحقق عند بقية الأمم ومنها الغرب، ف"إن

التاريخ بالنسبة إلى أجيال ما بعد ثورة 1789م لا يمكن إلا أن يكون أساسيا : مواجهة بين ما هو كائن و"ما كان ويبحث عن التعليقات وعن قوانين تجعل من هذه التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الكبيرة شيئا غير الحوادث، لكن الإمبراطورية، ذلك الشكل المركزي والمشخص في السلطة، هي التي ستصنع من المذكرات نوعا من ملاحم مرحلة تريد أن تكون جديدة ولا تنسى" (الريداوي، 1985م).

التسلسل الزمني للأحداث بين السيرة الذاتية للأمير وتحفة الزائر

نعني بالتسلسل الزمني للأحداث مدى التراتبية في رواية الأحداث، التداخل الزمني والانتقال من الحاضر إلى الماضي أو من الماضي القريب إلى الماضي البعيد من خصائص فنية الرواية الحديثة والمعاصرة، وإن لم يكن في العربية صيغ تفاضل بين الزمنين كما هو متواجد في اللغات الأوروبية مثلا، إلا أننا نستشف ذلك من سياق الكلام ومن عبارات دالة على ذلك ومنها ظروف الزمان، ومع ذلك يمكن أن نكتشف احترام الترتيب الزمني في النص السيري سواء في السيرة الذاتية (المذكرات أم في السيرة الغيرية (التحفة) وأقترح أن يكون ذلك بشكل تفصيلي فيما يتعلق بالمباحث النصية، ذات العلاقة الوطيدة بالسيرة. وأن يكون بشكل عام فيما يتعلق بالمباحث الميتا نصية، ففي المذكرات كان الفصل الأول مزوجا بين الإطارين الزماني والمكاني (بيئة أو فضاء الولادة والنشأة)، وهو فصل في نسب الأمير، تطرقت المذكرات إلى النسب (الزمن الماضي البعيد جدا أو السحيق) بمعنى الأجداد، باعتبار الوطن دلالة على المزوجة بين المكان والزمان (الفضاء)، من خلال التعريف بزاوية القيطنة لتحقيق النسبة المذهبية والعقائدية، ثم المولد والتعلم، فالمشايخ، وعليه كان الترتيب منطقياً ؛ لأن الأجداد (الماضي السحيق) أسبق من الموطن وتكونه كقرية جزائرية وعربية وإسلامية من معسكر (الماضي البعيد)، وبلدة القيطنة في التكون أسبق من زاوية القيطنة، وبعدها كان المولد أسبق من التعلم ومن ذكر المشايخ، وإن كان المشايخ أسبق ظهورا من صاحب السيرة ومع ذلك تأخر الحديث عنهم لأن صاحب السيرة في النص أهم من حيث الذكر من المشايخ ولذلك ألغت أهمية المترجم له زمنية المشايخ.

أما المباحث التالية وباعتبارها ميتا نصية فإنها خرقت تماما التسلسل الزمني ورجعت إلى الماضي السحيق، لذلك دعت المذاهب الفقهية لضرورة الالتزام بمذهب فقهي واحد والتعريف بإمام دار الهجرة مالك بن أنس وبصفاته وخصاله.

ما يقال عن هذه المباحث يقال بشكل أعمق حول الفصل الثاني بأكمله لغوصه في الماضي السحيق جدا وذلك متعلق بالنبي - ﷺ - وبأجداده وبأصل العرب. ويلاحظ أن المباحث الميمنة نصية يكون الترتيب فيها من الحاضر إلى الماضي أو من الماضي القريب إلى الماضي البعيد، أما المباحث النصية فعلى العكس من ذلك يكون ترتيب الأحداث فيها من الماضي القريب إلى الحاضر. بهذا الشكل :

حالة المباحث الميمنة نصية..... حالة المباحث السيرية

إلى الماضي السحيق من الماضي البعيد..... من الماضي القريب إلى الحاضر



وهو الأمر نفسه مع الفصل الثالث المتعلق بمباحث النبوة والرسالة في الإسلام ومنه انتقل إلى الحديث عن عيسى بن مريم عليه السلام.

فيما بعد سنلاحظ أن الفصلين الخامس والسادس المتعلقين على التوالي بسجايا العرب ومكة وتاريخها من آدم عليه السلام إلى عبد المطلب جد النبي - ﷺ - وبنسب الروم القيصرية من الحواريين إلى إبراهيم الخليل عليه السلام.

أما الفصل السادس فقد خرق الترتيب الزمني الذي ورد في الفصول الميمنة نصية أو الميمنة سيرية وحافظ في المقابل على ترتيب مباحثهم من الماضي السحيق إلى الماضي البعيد، وكان التذبذب في ترتيب الأزمنة في الفصل السابع واضح جدا. هذه الملاحظة لا تنطبق على الخاتمة، فهي تبدأ بعدد الشهور والسنين عند العرب بداية وتنتهي بعلامات قيام الساعة ومنه فهي مرتبة من الماضي إلى المستقبل.

الفصل الرابع المتعلق بكفاح الأمير عبد القادر يفترض أن يكون النص السيرية قد احترم التسلسل الزمني بشكل يوافق إلى حد بعيد ما قرره التاريخ الحديث للدولة الجزائرية الحديثة بقيادة الأمير ولو على مستوى معسكر والزمالة، وتوافق ما ذكره كل من شارل هنري تشرشل في "حياة الأمير عبد القادر بحسب ترجمة أبي القاسم سعد الله وبرونو إثنين في "عبد القادر الجزائري" ترجمة ميشال خوري، إلا فيما يتعلق بمبحثين أشرنا إلى "ميئانصيتهما" ويتعلقان بطريفة قصة الشاعر الغزال بملك إسبانيا وعلاقة زوجته السيدة لطيفة بزوجة ملك إسبانيا بزوجة الملك المذكور الواردة في صفحة 129 بحسب الطبعة التي يتم الاشتغال عليها.

وعليه فالتراتب متسلسل من الماضي القريب إلى الماضي الأقرب في بعد الأحيان وخارق لهذه التراتبية في أحيان كثيرة من المتن النصي للسيرة حتى في مباحث يفترض أنها نصية وسيرية مائة بالمائة. ولنأخذ على ذلك مثالا فقد بدأت رحلة الكفاح بالرحلة مع الوالد إلى الحج من ركوب البحر من تونس إلى القاهرة إلى جدة إلى المدينة،... ثم انتقلت إلى ما سيأتي فيما بعد ولم يحن أوانه وهو فتنة عين ماضي وما وقع للتيجاني بعد معاهدة التافنة، كل هذا الكلام ذكره قبل معركة المقطع تكرر عبارات من مثل : (عودة)، (الرجوع)، (استطراد)، (رجع)، (ولنرجع) دليل على عدم احترام التسلسل الزمني للأحداث في هذا النص السيري والأمثلة كثيرة على هذا الانتقال الزمني المتراوح، فبعد كل ما ذكرناه يبدأ البداية الرسمية في علاقته مع فرنسا بدءا من الصفحة 138 من الكتاب، منذ من سبقه إلى دخول سيدي فرج من الفرنسيين المشاركين في حادثة المروحة إلى مبايعة أبيه وهو من بعده على الجزائر، هذا بعد أن استطرده في الحديث عن علاقته بجنرالات فرنسا حربا وهدنة .

وقد أنهى الأمير عبد القادر حديثه عن الرحلة الحجازية بذكر زيارته لبغداد مع الركب الشامي وتجنبه لبقية الطرق تجنباً لقطاع الطرق منتقلا للحديث عن ثورة التيجاني على الباي حسن، باي وهران من قبل الأتراك وأطال لأن الحادثة ستكرر ولكن بين الأمير وأخ التيجاني في عين ماضي، حيث الزاوية، منتقلا للحديث عن ثورة، وإن لم يكملها باعترافه، إلى معاركه مع الجنرالات والمارشالات الفرنسيين ثم في صفحة 124 يتذكر أنه لم يكمل حديثه عن الرجوع من الحج ويبرر هذا بتنوع الموضوعات والأساليب من مثل "ومع كوننا لم نتم قصته" و "ولا أكملنا كلامنا في شأن السفر الحجازي وما آل إليه الأمر، إلى أن وصل هذا السيد الرفيع البلاد" ويقصد أباه معي الدين" كان علينا ذكر ذلك مفضلا مرتبا، ليجري الكلام على سنن واحد لكن غايرنا بين الأساليب وارتكبنا هذا التركيب، تلويحا لتحسين الكلام، وانتقالا من مقام إلى مقام" مما يعني أنه لن يعود مرة أخرى إلى إتمام الرحلة الحجازية. تعتبر الصفحة 127 دليلا لعدم احترام الأمير للترتيب الزمني بوعي وبقصد منه، والأجمل والجدير بالذكر أنه يؤرخ لكل حادثة وفق التقويم الهجري المضبوط باليوم والشهر والسنة وبالمدة، وذلك في شكل حوصلات لكل مرحلة من مراحل السفر حيث يُخصي مدتها من بداية الرحلة إلى نهايتها مدة كذا.

هذا الفصل المتعلق بالكفاح وهو أكبر الفصول سيريا ونصيا، والأكبر حجما من فصل النشأة والتعليم، نعثر على العديد من النصوص غير السيرية والتي ترد عادة من باب

الاستطراد الذي له منطقية التواجد إما عن طريق علاقات التشابه أو الاستشهاد أو التذكر أو التخيل أو المناسبة فكما قيل :

"الشيء بالشيء يذكر" وهو ما سيفضي إلى صلة هذه النصوص الجزئية بأزمة غير مرتبة ولا متسلسلة ولا مترابطة، حينها تصبح السيرة شبيهة الروائي ولكن من غير تخطيط لسير الحكيم، وهو ما يعبر عن منطقية المناسبة لا منطقية الترتيب الزمني، فنص كالنص المستخدم للتدليل على أنواع الرياح الأربع فالثمانية واستحضار نصوص من الهدي النبوي في الرياح من صحيح البخاري، ومع الإيمان بانفتاح هذه النصوص زمنيا إلا أن الشحنات الدلالية التي تحتفظ بها وحتى الحمولات المعرفية والثقافية لا تنتهي لزمن حياة الأمير، باعتبارها نصوصا موعلة في الماضوية والقدم.

ويمكن استحضار العديد من النصوص التي تعبر عن التداخل في الأزمنة عبر قنوات هذا الانتقال غير المنتظم المتعددة وأساليبه المختلفة.

في "تحفة الزائر" فالجزء الأول منها (السيرة السيفية) كانت مداخلة الكوزوموغرافية لبلاد المغرب الإسلامي محترمة الترتيب الزمني من الماضي البعيد إلى الماضي القريب من تاريخ البربر إلى الفتح الإسلامي إلى مختلف الإمبراطوريات ثم الدويلات التي حكمت المغرب الإسلامي، وصولا لدولة آل عثمان، ثم ما كان من بعض الثورات الشعبية على الإسبان وعلى آل عثمان التي تلاها الاستيلاء الفرنسي على الجزائر العاصمة وهو ترتيب زمني منطقي، لكنه ميتا نصي خارج عن معطيات سيرة الأمير عبد القادر.

إن النصوص التالية تصب في صميم محتويات السيرة الذاتية الكفاحية للأمير فاستعماله لكلمة "ذكر" وجهه مما هو سيري إلى ترتيب زمني دقيق جدا بحسب وقائع ومعارك الأمير عبد القادر مع الجيش الفرنسي ومع غيره وصولا لواقعة بني عامر بفاس وما كان بعدها من وقائع بالمغرب الأقصى.

تضمن الجزء الثاني من التحفة السيرة القلمية للأمير عبد القادر إتبع فيه الأمير محمد تسلسل الأحداث في سيرة والده منذ سفره إلى فرنسا بدء بتولوز التي استقر بعدها في لومبواز إلى غاية انتقاله إلى دمشق ووفاته -رحمة الله -. باستثناء خرق الأمير محمد لترتيب الزمني للأحداث وهو خرق من البداية، فقد أرجأ الحديث عن نسب الأمير عبد القادر إلى الخاتمة وقصرها على ذكر النسب، وكان من المفترض تبعا لقاعدة الانتقال من الماضي السحيق إلى الماضي البعيد ومنه إلى الماضي القريب...

خاتمة

لقد خشيت أن تطول هذه الدراسة حتى تخرج عن ما وضعت له، وإلا لتم الإكثار من الأمثلة فيما يتعلق بالعناصر التي طرقتها، سواء عند الحديث عن طبيعة المحتوى في المذكرات وفي السيرة أم أثناء الحديث عن حجم هذا المحتوى في النصين أم أثناء الحديث عن التسلسل الزمني في سرد الأحداث وفق منطق السرد المتتابع والمتسلسل، مع العلم أن المنطقية قد تدرك بالتناسب في السرد وإن اختلطت الأزمنة في سياق النص الفني السردى كالرواية ولما لا السيرة بنوعها أو بأنواعها.

وعليه فقد آثرت أن يكون ختام الحديث في هذا العرض على شكل موازنة، ليس بين التحفة والمذكرات كما قد حُبكت عليه خيوط البحث، وإنما بين هذه السيرة الثنائية (التحفة والمذكرات) من جهة وبين الموروث السيري الأدبي عند العرب في مراحل متأخرة

من ثقافة هذه الأمة و تبلور أدواتها الفنية وهي تصوغ أجناسها الأدبية، وهو ما لم نره لا في سير ومغازي الأولين وعلى رأسها سيرة النبي - ﷺ - لابن إسحاق أو لابن هشام أو للسيوطي ولا حتى السير الأسطورية لعنتره بن شداد ولسيف بن ذي يزن ولصلاح الدين الأيوبي ولا لبني هلال... الخ. وإنما في سيرة لرجل شديد الشبه في مساره السيفي والقلبي بالأمير عبد القادر وهو ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، مع الفارق في جدلية الأنا والآخر فشتان بين المرابطين وبين الفرنسيين، وهو ما تمثلناه لإجراء مسح وفق آليات موازنة أو مقارنة عامة.

لمسيرة فن السيرة عند العرب في المراحل المتأخرة من الثقافة العربية أنها لا تنفك تؤكد علاقتها بالكوزموغرافيا، ولذلك يتكرر الأمر الذي حدث مع كتاب لطالما وسم بأنه موسوعة "نفح الطيب من غصن الأندلس الخصيب وذكر وزيره لسان الدين بن الخطيب" للمقري التلمساني-ولدينا فيه مذهب خاص ومتواضع ليس هذا مجاله، ولكن ملخصه أن هذا الكتاب يُصنّفُ ضمن فن السيرة فهو ليس موسوعة ولا كتاب تاريخ⁵، ولعل وجه الشبه والتكرار الحاصل في هذين الجزئين من "النفح" يحدث مع "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر" للأمير محمد بن الأمير عبد القادر، لا سيما في باب التمهيدى

⁵ ينظر عبد العزيز شويط : الحدود الفاصلة بين النص التاريخي والسيرة عند المقري التلمساني (دراسة في مبدأي الموافقة والتوفيق في نفح الطيب) سبتمبر أيلول 2011، مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات، دبي : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ص. 106 وما بعدها.

الكوزموغرافي أو المدخل التاريخي والجغرافي الذي طال حتى كاد أن يصبح كتابا بعينه، المغرب والجزائر في حال "التحفة" وهو المبحث الذي عبر عنه صاحب السيرة "التحفة" بعنوان: "المقدمة في ذكر جغرافية أقسام المغرب" وما تلاه من فصول حتى بلغ الثمانين صفحة من الجزء الأول من الطبعة التي بين أيدينا، والتي تنتهي بعنوان "تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر" مما يعطي الطابع التقليدي لكتاب السير والتراجم العرب القدماء في تحفة الزائر، وهو ما لم نجده في مذكرات الأمير عبد القادر فالمعلوم أن للأمير في مجال النثر الأدبي أو السيرة الأدبية الذاتية "المذكرات" ولكن واسيني الأعرج في روايته "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" يخبرنا بأنه قد أملى سيرته الذاتية على أحد معاونيه. وأغلب الظن أنها المذكرات، والأرجح أنها تحفة الزائر لابنه محمد، كما يشير إلى ذلك المهتمون بتراث الأمير ويؤكد ذلك أبو القاسم سعد الله، هنا نتساءل هل يجوز لنا القول أن صلة محمد بالأمير وهو ابنه تكاد تجعل من هذه السيرة الغيرية كأنها سيرة ذاتية للقداصة والعلاقة الروحية التي يشكّلها الوالد لولده؟ ربما... ولكن لن تكون أسوء من سيرة جبران خليل جبران التي كتبها ميخائيل نعيمة، ضمن سيرورة الأدب العربي النثري. هنا نتحدث عن مجال حدود الموضوعية والمستوى الثوري في سيرة كتبها الابن عن والدته مما يدعم رؤية إمكانية الاختلاط بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية مع ما عرف به تاريخ الأدب العربي في ميدان فن السيرة والترجمة والوفيات والرحلات والمذكرات والاعترافات وغيرها منذ سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن إسحاق.

مذكرات الأمير عبد القادر التي تعيننا هنا أكثر حتى من تحفة الزائر كأنما هي مسودة أملاها الأمير في عجلة من أمره أو في سباق مع الذاكرة مع الأمل في العودة إليها و تنقيحها وتصحيحها، و إلا فما العلة في استخدام النظم العربي للكلام وتركيبه و هو نظم صحيح نحويا و بلاغيا و من جهة أخرى عج النص السيري بألفاظ عامية وأخرى منقولة عن اللغة الفرنسية، ليست فقط التي تعبر عن أسماء أو مصطلحات بل أيضا التي لها بدائل في فصيح اللغة. إلى جانب استخدام ضمير الغائب في التعبير ضمن المذكرات الذي يعطي انطبعا بالتشارك بين الأمير عبد القادر وابنه في كتابة السيرة بين الأمير ومن أمليت عليه إذ سُمح له بإضافة بعض الأحداث، ولا يستبعد أن يكون الكاتب الذي أمليت عليه هو صهره ابن التهامي الذي لم يفارقه في معاركه، فهو حاضر وشاهد ويمكن أن يضيف ما نسيه الأمير أو غفل عنه، وبالذات في فصل الكفاح لأن ضمير الغائب وهو يقصد الأمير يقل في

بقية الفصول والمباحث ويكثر في فصل الكفاح بشكل ملفت مما يعبر عن سماح الأمير لابن التهامي بالإضافة والمشاركة.

بيبليوغرافيا

ابراهيم، فتحي (1986م). معجم المصطلحات الأدبية. صفاقس-تونس : المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين، ص. 202.

إتنين، برونو (1997). عبد القادر الجزائري. (ط. 1). (خوري ميشال، ت.). بيروت-لبنان : دار عطية.

إخراج إبراهيم مصطفى وآخرون، (د. ت.). مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. (د. ط.). مصر: دار العودة، ص. 455.

الإفريقي، ابن منظور (د. ت.). لسان العرب. (د. ط.). مصر: دار المعارف، مادة: سير، (ج. 23)، صص. (2170-2169).

الأمير عبد القادر (2008م). مذكرات الأمير عبد القادر. (د. ط.). (بناني محمد الصغير وآخران، ت.). طبعة خاصة بوزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين لعهد الاستقلال والشباب، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع. صص. 108-109.

الأمير عبد القادر الجزائري (2007). الديوان. (ط. 3). (دحو العربي، جمع وتحقيق وشرح وتقديم) (مقاربة شريبط احمد شريبط للديوان)، الجزائر: منشورات تالة.

الأمير محمد بن الأمير عبد القادر (1903). كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، (ج. 1 و 2)، (د. ط.). الاسكندرية - مصر : المطبعة التجارية.

الأمير محمد بن الأمير عبد القادر (1903م). كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر. (د. ط.). (ج. 1، 2)، الاسكندرية - مصر : المطبعة التجارية.

الباردي، محمد (2005م). عندما تتكلم الذات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث. (د. ط.). دمشق-سورية: منشورات اتحاد الكتاب العرب، صص. 181-182.

بول آرون، دينيس سان جاك وآلان جيالا (2012م). معجم المصطلحات الأدبية. (ط. 01). (حمود محمد، ت.). بيروت- لبنان : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع مجد، صص. 624، 626، 627.

تشرشل شارل، هنري (د. ت). حياة الأمير عبد القادر. (د. ط.). (سعد الله أبي القاسم، ت.). تونس الدار التونسية للنشر.

جبور، عبد النور (1984م). المعجم الأدبي. (ط. 2). بيروت-لبنان: دار العلم للملايين.

الريداوي، محمود (1985). الأدب والأنواع الأدبية. (ط. 1). (حجار طاهر، ت.). دمشق-سورية: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، صص. (233، 234، 237)

سعد الله، أبو القاسم (2009). تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954. (ط. 6)، (ج. 5)، الجزائر: دار البصائر.

شاكر تهماني، عبد الفتاح (2002). السيرة الذاتية في الأدب العربي. (ط. 1). طوقان فدوى.

شويط، عبد العزيز (2011، سبتمبر أيلول). الحدود الفاصلة بين النص التاريخي والسيرة عند المقرئ التلمساني (دراسة في مبدئي الموافقة والتوفيق في نفع الطيب). مجلة آفاق الثقافة والتراث، (75)، دبي، الإمارات العربية المتحدة: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

شويط، عبد العزيز (2013، جوان حزيران). تجليات الذوق الفني. ومظاهر الوعي النقدي في أدب التراجم والسير. من خلال كتاب عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية للقاضي أبي العباس الغبريني، مجلة آفاق الثقافة والتراث، (82)، دبي-الإمارات العربية: المتحدة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

شويط، عبد العزيز. أدب التراجم والسير في الجزائر بين الحقيقة التاريخية و أدبية الأدب. مجلة عيدان الخيل للثقافة والآداب والعلوم، (1)، دراسة في "كتاب" الوفيات لابن قنفذ القسنطيني (النثر). الشارقة-الإمارات

الشيب ندى، محمود مصطفى (2006). فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992-2002. [رسالة ماجستير، أبو عمشة عادل، غزة فلسطين: جامعة النجاح الوطنية].

شيفير، جان ماري (د.ت). ما الجنس الأدبي. (د. ط.). (السيد غسان، ت.). دمشق-سورية: منشورات اتحاد الكتاب العرب، صص. 72، 75.

ضيف، شوقي (د.ت). الترجمة الشخصية. (ط. 4). مصر: دار المعارف، صص. 52، 60.

عباس، إحسان (1978م). فن السيرة. (ط. 4). بيروت-لبنان: دار الثقافة، صص. 37-38.

عبيد، محمد صابر (2005). تمظهرات التشكل السير ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية. (د. ط.). دمشق-سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب. ص. 150.

- العربي، دحو (2007م). ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري. (ط. 3). الجزائر : دار ثالة، ص. 15. (مقاربة الأستاذ شريط احمد شريط للديوان).
- العزیز، شرف (1998). أدب السيرة الذاتية. (د. ط.). مصر : الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ؛ مكتبة لبنان، صص. 5-6.
- العلوي، محمد الطيب (1985م). مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954. (ط. 1). قسنطينة-الجزائر : دار البعث للطباعة والنشر، صص. 34، 47.
- الفيروزبادي (1978). القاموس المحيط. (د. ط.). القاهرة - مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- القاضي، محمد وآخرون (2010). معجم السرديات. (ط. 1). تونس : دار محمد علي للنشر لبنان : دار الفارابي، لبنان : مؤسسة الانتشار العربي ؛ الجزائر : دار ثالة، مصر : دار العين ؛ المغرب : دار الملتقى.
- لوجون، فيليب (1994م). السيرة الذاتية : التاريخ والميثاق الأدبي. (حلي عمر، ت. تق.). بيروت-لبنان ؛ الدار البيضاء - المغرب الأقصى : المركز الثقافي العربي، صص. (10، 21، 22، 93).
- مالطي، دوجلاس فدوى (1985م). بناء النص التراثي، دراسات في الأدب والتراجم. (د. ط.). القاهرة-مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص. 123.
- المقدسي، أنيس (1980). الفنون الادبية وأعلامها : في النهضة العربية الحديثة. (ط. 3) الثالثة، بيروت - لبنان : الناشر دار العلم للملايين.
- هتشنسون (2007م). معجم الأفكار والأعلام. (ط. 1). (الجيوسي خليل راشد، ت.). بيروت-لبنان : دار الفارابي، ص. 269.
- وجيرا ابراهيم، وعباس إحسان، نموذجاً. بيروت-لبنان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، صص. (12، 14).